مجلة العدوي للسانيات العرفية وتعليمية اللغات
Issn: 2773/ 3300
http://www.asjp.cirect.dz/en/presentation Revue/804
ASJP Algerian Scientific Journal Platform
المجلد:01 العدد: 01(2021) ص57- 65

التّحليل المعرفي للخطاب الأدبيّ ذي الأبعاد السّياسيّة
-دراسة عرفنيّة في خطابات أحمد مطر-.

Cognitive analysis of literary discourse with political dimensions

A cognitive study in the speeches of Ahmad Matar

مروى زريـــــبي*

– جامعة باجي مختار– عنّابة ، الجزائر

marewazerbi@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/4/3
تاريخ القبول:
2021/4./18

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الخطاب
- ✓ التفكير
- ✓ التعبير
- ✓ النظام اللغوي
- ✓ تشومسكي

الملخص:

شهدت اللغة اهتمامًا منقطع النظير بمظاهرها المختلفة. في ضوء الآليات الإبداعية التي تحتويها والتي تسمح بإتمام عملية الاتصال ، ولعل من أبرز القضايا التي أثيرت مؤخرًا في الساحة اللغوية ما يُعرف بالاستعارة المفاهيمية التي تهتم باللسانيات المعرفية . بدلاً من ذلك ، يعتبرها أحد أهم اهتماماتها وموضوعاتها ، وهي آلية لا يُنظر إليها في الدراسات المعاصرة على أنها مجرد ظاهرة لغوية فنية ، بل هي جزء لا يتجزأ من التفكير البشري المتجذر في نمط مفاهيمي ، ونتيجة التفاعل بين تجربة سابقة وتصور عقلي أدى إلى بلورة تلك الصورة التعبيرية لواقع حالي دون إرباك المتلقي ؛ نظرًا لأنه يتحول تلقائيًا إلى مكون طبيعي للتفكير البشري وعنصر مألوف لدى المرسل والذي يتم توجيهه إليه ، يمكن لمنتج الخطاب أن يستثمره بعد بيانه في شكل هيكل مفاهيمي ومستقبل الخطاب يمكن أن يفهمها ، وهذا الأمر لا يقتصر على النوع الخطابي وحده. لأن هذا الجانب المعرفي قد انتصر بشكل عفوي على جميع أنواع الخطابات. أدبي أو علمي

Abstract :

Language The language has seen an unrivaled interest in its various aspects. In light of the creative mechanisms it contains that allow the completion of the communication process, and perhaps one of the most prominent issues recently raised in the linguistic arena is what is known as the conceptual metaphor that is concerned with cognitive linguistics. Instead, he considers it one of its most important interests and topics, a

Article info

Received *3./4./2021*
Accepted *18/8./2021*

Keywords:
- ✓ *Speech*
- ✓ *think*

*المؤلف المرسل.

mechanism that is not seen in contemporary studies as just an artistic linguistic phenomenon, but rather an integral part of human thinking rooted in a conceptual pattern, and as a result of the interaction between a previous experience and a mental perception that led to the crystallization of that image. Expressionism of a present reality without confusing the recipient; Since it automatically turns into a natural component of human thinking and an element familiar to and addressed to the sender, the product of the speech can invest it after its statement in the form of a conceptual structure and the future of the discourse that it can understand, and this is not limited to the rhetorical type alone. Because this epistemic aspect has spontaneously triumphed over all kinds of discourses. Literary or scientific	✓ *expression* ✓ *The linguistic system* ✓ *Chomsky*

1*تجليّات الاستعارة التّصوّريّة في الخطاب :

-الخطاب : ماهيّته و أنواعه و أغراضه.

لقد شهد الخطاب على اختلاف أنواعه اهتماما واسعًا، أفضى إلى ميلاد تعريفات عدّة له؛ فهو النصّ في حالة النّطق به من وجهة نظر بعض اللّسانيّين النّصّانيّين، كما أنّ النصّ إنّما هو خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة .

و عليه فإنّ " حدّ الخطاب أنّه كلّ منطوق به موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودًا مع تحقيق أهداف معيّنة ..." و يستوي في ذلك الخطاب بشقّيه : المكتوب و الشّفهيّ. كما يستوي المرسل إليه الحاضر أو المستحضر فلا يقتصر توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر عيانًا، بل يتجاوز توجيهه إلى المرسل إليه الحاضر في الذّهن"

و عليه فإنّ الخطاب إنّما له أغراض يسعى إلى تحقيقها؛ لكونه يحمل بين طيّاته مادّة معرفيّة و مادّة إبداعيّة، وله وظيفة تعامليّة و تفاعليّة يسعى من خلالها إلى تحقيق أهدافه، إلاّ أنّ مقاصده قد تظهر مباشرة، و قد تحتاج عمليّات تأويليّة حتّى تتجلّى، و يتحدّد ذلك تبعًا للاستراتيجيّات الخطابيّة التي يتوخّاها المرسل.

و ممّا ورد في بيان أغراض الخطاب نذكر ما ذهب إليه أحد الباحثين في قوله: " لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشّكر يباين مقام الشّكاية، و مقام التهنئة يباين مقام التّعزية، و مقام المدح يباين مقام الذّمّ، و مقام التّرغيب يباين مقام التّرهيب، و مقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل....و ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن و القبول و انحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، و هو الذي نسمّيه بمقتضى الحال".

-اللّسانيّات العرفنيّة والاستعارة التّصوّريّة:

تختلف النّظريّات اللّغويّة الحديثة عن بعضها في نظرتها للّغة باختلاف الأهداف و المنطلقات النّظريّة و المنهجيّة ، و يتجلّى ذلك من خلال قراءة تاريخ اللّسانيّات منذ سوسير إلى يومنا هذا.

كان دي سوسير - رائد الدّراسات البنويّة – أوّل من نادى باستقلاليّة النّظام اللّغويّ ، حيث جعل غاية اللّسانيّات دراسة اللّغة في ذاتها و من أجل ذاتها. فاللّغة عنده نظام قائم بذاته له قوانينه الخاصّة و بنيته الدّاخليّة التي تسعى اللّسانيّات لوصفها ، كما أنّ العناصر اللّغويّة تكتسب قيمتها داخل هذا النّظام من خلال علاقتها بباقي العناصر.

و عليه ، فإنّ الدّراسات البنويّة قد ركّزت على الكشف عن القوانين الدّاخليّة التي تحكم النّظام اللّغويّ ، و يعدّ بلومفيلد و من تبعه من اللّسانيّين من أبرز المتمسّكين بهذا المبدأ ، حيث إنّه كان يرى أنّ دراسة المعنى إنّما هي أضعف نقطة في

الدّراسات اللّسانيّة ؛ لأنّه عنصر لا يمكن وصفه في إطار النّظام المغلق ، و هذا من منطلق مبادئ النّظريّة السّلوكيّة التي كان يتبنّاها .

أمّا عن النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة فقد اكتسب فيها القول باستقلاليّة النّظام اللّغويّ تصوّرا جديدًا ؛ حيث أصبح مرتبطا بمستخدم اللّغة ، و أصبح غاية النّظريّة اللّسانيّة وصف القدرة اللّغويّة التي تمكّن من فهم و إنتاج ما لا يعدّ من الجمل الصّحيحة."فالنّظريّة اللّغويّة نظريّة ذهنيّة بالمعنى التّقنيّ لهذه الكلمة ، ما دامت ترتبط بالكشف عن واقع ذهنيّ يكمن تحت السّلوك الفعليّ".

بقيت اللّغة نظاما مستقلاّ عند تشومسكي ؛ لأنّه يرى القدرة اللّغويّة الموجودة في ذهن المتكلّم تمثّل مكوّنا من مكوّنات الدّماغ مستقلاّ عن الإمكانيّات الأخرى غير اللّغويّة التى تتحكّم في الإدراك و التّذكّر و المعرفة ، و له بنيته المميّزة و قوانينه الخاصّة التي تهدف النّظريّة اللّغويّة إلى الكشف عنها .

*تعدّ اللّسانيّات العرفنيّة من العلوم اللّسانيّة الحديثة نسبيًّا، و هي ترتبط ارتباطا و ثيقًا بالدّراسة النّفسيّة التي تهتمّ بعمل الدّماغ و متابعة العمليّات العقليّة المختلفة التي تتّصل بالمعرفة الإنسانيّة و الإدراك بشكل عام و أصحاب هذا الاتّجاه في دراسة اللّغة – على اختلاف منطلقاتهم – لا يقبلون القول باستقلاليّة النّظام اللّغويّ ، فهم يرون أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغويّة و التّفكير بشكل عام.

و عليه فهم يعارضون ما يذهب إليه تشو مسكي و أتباعه من أنّ تطوّر اللّغة عند الطّفل يأتي كليّا من نموذج نحويّ مستقلّ في الدّماغ يبنى بالكامل بتعليمات خاصّة به.

فالمعرفة اللّغويّة - كما يرى هؤلاء –جزء من الإدراك العقليّ الذي لا يميّز بين المعلومات اللّغويّة و المعلومات غير اللّغويّة ، و الذي يتأثّر– و بقوّة – بمحيط الإنسان و تجاربه اليوميّة المختلفة ، فالعمليّات العقليّة التي تتحكّم التّفكير في الإنسانيّ و في تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكّم في المعرفة اللّغويّة و في تشكيل البنية اللّغويّة العامّة بمستوياتها المختلفة ، فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللّغويّة و المعلومات الأخرى الحركيّة و البصريّة و السّمعيّة غير اللّغويّة للوصول إلى مجموعة من المعلومات لا ينبغي التّمييز داخلها بين ما هو لغويّ و ما هو غير لغويّ ، و هو المستوى الذي يطلق عليه :مستوى البنية التّصوّريّة.

و اللّغة لا تنفصل عندهم عن الخبرة الإنسانيّة التي تشكّلها التّجربة، و التي تؤثّر في الطّريقة التي ندرك بها الأشياء و نصوغ بها مفاهيمنا المختلفة، و التّعبير عن الأشياء و المفاهيم ، و هو بعد لغويّ يتأثّر بلا شكّ بكيفيّة إدراكها.

فاللّغة ليست مستقلّة أو مغلقة على ذاتها و لا يمكن وصف نظامها الدّاخليّ و صوغ قواعده و قوانينه بمعزل عن البنية التّصوّريّة أو المعرفيّة التي تؤسّس لمبادئ عامّة في الخبرة البشريّة تؤثّر مباشرة في بنية المبادئ اللّغويّة المختلفة .

و يخالف أصحاب هذا الاتّجاه النّظريّة التّقليديّة في الدّراسات اللّغويّة الغربيّة المنبثقة من الفلسفة الأرسطيّة التي تهمل الخيال و لا تضع له دورًا أساسيًّا في عمليّات التّفكير و الإدراك.

فالعاملون في حقل اللّسانيّات المعرفيّة يرون أنّ الخيال قدرة إنسانيّة مهمّة ذات أثر فاعل و عميق في تشكيل الفهم البشريّ و في بناء المعرفة الإنسانيّة ، فهو يمثّل آليّة من الآليّات الأساسيّة التي يلجأ إليها العقل البشريّ لفهم الأشياء من حوله ، و لنقل هذا الفهم إلى الآخر.

و عليه ، فقد نهضت اللّسانيّات المعرفيّة - على حدّ تعبير الأزهر الزناد-[على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّا بالأساس ، فكان الخروج عن المنهج الإجرائيّ القائم على الوصف البنيويّ و التّوزيعيّ و على المنهج الشّكليّ بما في ذلك الأنحاء المركبيّة و التّحويليّة و المقوليّة الرّياضيّة و على المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشروط الضّروريّة و الكافية.]

- **قضايا اللّسانيّات المعرفيّة :**

من القضايا و الظّواهر التي نالت اهتمام الباحثين في هذا المجال و كانت بمثابة تحدّ للفكر اللّغويّ التّقليديّ النّظام الاستعاريّ في البنية التّصوّريّة ، العلاقات المكانيّة و الزّمانيّة في اللّغة و علاقتها بالإدراك ، اكتساب اللّغة ، العلاقة بين اللّغة و الإدراك الحسيّ .

فالاستعارة مثلاً، التي تعدّ في الدّراسات اللّغويّة التقليديّة خاصيّة لغويّة لا تأثير لها في التّفكير أو السّلوك ،حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة ،فهي ليست مقتصرة على اللّغة كما أنّها ليست منبثقة من طبيعة النّظام اللّغويّ ،بل هي موجودة في تفكيرنا و في الأعمال التي نقوم أيضا، فالنسق التّصوّريّ العادي الذي يسيّر تفكيرنا و سلوكنا له طبيعة استعاريّة في النّسق التّصوّريّ لكلّ منّا .

و عليه فإنّ الاستعارات إنّما تعكس آليّات عقليّة يستعملها النّاس لتمكّنهم من تصوّر مجالات مجرّدة أو غامضة في المعرفة الإنسانيّة من مثل الزّمن و السّببيّة و الاتّجاهات المكانيّة و الأفكار و العواطف باستخدامهم تعبيرات من مجالات معرفيّة محدّدة و مألوفة عندهم .و يتم التّحدّث و الفهم بشكل تلقائيّ آليّ ، و قد وجد الباحثون أنّ الاستعارة من أهمّ الآليّات الذّهنيّة التي تؤسّس للنّسق التّصوّريّ الإنسانيّ.

نتيجة لما تقدّم ،فإنّ اللّسانيّات المعرفيّة إنّما هي مدرسة حديثة للتّفكير اللّسانيّ ،كان انبثاقها في الأصل مع بداية السّبعينيّات نتيجة عدم رضاها عن المقاربات الصّوريّة للّغة، كما أنّ تسميتها تجري[على تيّار أو حركة تجمع عددًا من النّظريّات التي تشترك في الأسس و المنطلقات ، و لكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها و توجّهاتها و مجالات العناية فيها ...و للّسانيّات العرفيّة صلات بالعلوم العرفنيّة من حيث برنامجها و مفاهيمها العاملة و نقضها لما ليس عرفنيًّا في المطلق و في اللّسانيّات الشّكليّة بوجه خاص.]

2-الاستعارة و تحليل الخطاب السّياسيّ:

*الاستعارة: ماهيّتها و طبيعتها و نظريّاتها.

لقد تطوّرت وجهة النّظر إلى الاستعارة و أصبح اعتماد مصطلح الاستعارة لدى المنظّرين المعاصرين للإشارة إلى التّرسيم التّصوّريّ، و مصطلح التّعبير الاستعاريّ **Metaphorial expression** للإشارة إلى تعبير لغويّ مفرد، مثل: طريق مسدود ... و من الاستعارات نجد التي تعمل على ترسيم صورة ذهنيّة عرفيّة **Conventional mental image** على أخرى؛ أي يتمّ ترسيم مجال تصوّريّ (مجال الانطلاق) على مجال آخر (مجال الوصول).

فالاستعارة على هذا الأساس آليّة أساسيّة نفهم من خلالها المفاهيم المجرّدة و نمارس الاستدلال المجرّد، فهي في الأساس تصوّريّة **Conceptual** و ليست لغويّة.و بخصوص الاستعارة اللّغويّة يذهب جورج لايكوف إلى أنّها مجرّد تجلٍّ سطحيٍّ **Asurface manifestation** للاستعارة التّصوّريّة.

كما أنّها ليست مجرّد آليّة لغويّة تجميليّة و لا أسلوبا تعبيريّا مجازيّا؛ إنّها طريقة جوهريّة و أساسيّة لتعلّم و بنينة الأنساق التّصوّريّة و ترميز المعرفة ، بل هي جزء من خطابنا اليوميّ.

***علاقة الاستعارة و النّسق التّصوّريّ بالتّجربة:**

يذهب اللّسانيّون العرفانيّون إلى أنّ جزءا مهمّا من تجاربنا و سلوكاتنا و انفعالاتنا إنّما هو استعاريّ من حيث طبيعتُه، و عليه فإنّ نسقنا التّصوّريّ مبنيّ جزئيّا بواسطة الاستعارة التي تعدّ حقائق متجذّرة في النّسق التّصوّريّ البشريّ، كما أنّ الاستعارات على اختلاف أنواعها؛ اتجاهيّة و بنيويّة و أنطولوجيّة، هي حقائق مثبتة في نسقنا التّصوّريّ، حيث يذهب جورج لايكوف إلى

أنّ (نسق الاستعارة التّصوّريّة العرفنيّة لا واع في معظمه و آليّ، و مستخدم دون جهد ملحوظ، تماما مثلما هو نسقنا اللّغويّ و بقيّة نسقنا التّصوّريّ).

كما أنّها مؤسّسة في معظمها على خبرتنا و تجاربنا؛ حيث إنّنا نقوم (ببنينة معرفتنا بمجال معيّن(المجال الهدف) بأن ننقل تصوّراته و مفاهيمه و علاقاته من مجال آخر موجود(المجال المصدر)، يكون مألوفا لدينا) ، و يتّضح ذلك من خلال جملة من الأمثلة، عرضها صاحبا "الاستعارات التي نحيا بها"؛ حين مثّلا للاستعارة الاتّجاهيّة بجعل النّاس في مقام مستفل و جعل أنفسنا في مقام عالٍ إذا كنّا نراقبهم و نتحكّم فيهم(بعد فضائيّ:فوق-تحت)، و للاستعارة البنيويّة بالزّمن الذي نعامله كما لو كان مالاً، فنضيّعه و نستثمره أو نبذّره، و للاستعارة الأنطولوجيّة بالتّضخّم الذي نبني له وجودًا ماديًّا، فيكون بمثابة عدوٍّ نحاربه و نتضايق منه...فنقول: إنّني في قمّة السّعادة، لقد رفع معنويّاتي، ليس لديّ وقت لأخسره، عليك أن توفّر وقتك، أنجب التّضخّم جيلاً من الانتهازيّين، هاجم التّضخّم أسس اقتصادنا....

فهناك دائما تجربة إنسانيّة قبل تصوّريّة من قبيل تجربة الاتّجاهات الفيزيائيّة التي نسقطها على مجال مجرّد كالسّعادة و الشّقاء و الزّمان...ليتمّ التّفاعل بين الجسد و المحيط و من ثمّة تنتج المقْوَلَة ، كما يذهب لايكوف إلى أنّ العقل قائم على التّخيّل (الاستعارة) و حالٌّ في الجسد، وقيام المقولات في صلة بتجربتنا الجسديّة.و نظريّة لايكوف هذه لها أسس تبلورت في شكل ثلاث نظريّات فرعيّة:

نظريّة الاستعارة المفهوميّة ، العرفنة المجسدنة ، المناويل العرفنيّة المؤمثلة.

و في هذا المقام سنقف على النّظريّة الأولى التي تنظر إلى الاستعارة باعتبارها(أداة مَفهَمَة و تمثيل و تصوّر يعمّ كلّ مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجرّدة و المتّصلة بالمجالات الأساسيّة من قبيل الزّمن و الأوضاع و المكان و العلاقات و الأحداث و التّغيّر و الجعل و ما إليها).

و الاستعارة بصفة عامّة تقوم على وجود خطاطات قوامها أنّ الذّهن مجسدن و أنّ الفكر يشتغل على التّجربة الجسديّة و على الإسقاط الاستعاريّ ما بين مجالات ماديّة و مجالات تجريديّة،...كما يشترط فيها وجود أفضية
أو فضاءات ذهنيّة.

***استعمال الاستعارة في الخطابات الأدبيّة و السّياسيّة:**

تعدّ الاستعارة ظاهرة مبتكرة في الأعمال الأدبيّة أكثر من غيرها، فهي مؤثّرة و قادرة على نقل أفكار أوخبرات أو مشاعر أو رؤى بعينها، لكون العمل الأدبيّ يحمل بين طيّاته خبرة عقليّة و عاطفيّة معقّدة، فيجسّد الحياة الذّهنيّة للأديب و يصفها استعاريّا بشكل متميّز تكون الاستعارة فيه جزءًا من الأسلوب على اختلاف الأجناس الأدبيّة، و تذهب إيلينا سيمينو في هذا المقام إلى ما توصّل إليه كلّ من: "لايكوف "و"تيرنر" ؛ حيث إنّ الشّعراء و الأدباء لا يبتكرون في أعمالهم الأدبيّة أنواعا و أشكالا جديدة من الاستعارات و إنّما يقومون باستغلال الاستعارة التّقليديّة المستخدمة في لغة الحياة اليوميّة، و لكن بشكل مبتَكر.

و عليه؛ فإنّ الاستعارة تنشأ في اللّغة المستخدمة في الحياة اليوميّة، كما أنّها طريقة يعبّر بها أفراد منتمون إلى ثقافة معيّنة عن خبراتهم في إطار مفاهيميّ محدّد.

كما نجد السّياسيّين بدورهم يعتمدون الاستعارة لتحقيق أغراض بلاغيّة و إقناعيّة، و ذلك في إطار ابتكار استعاريّ فريد من نوعه يحمل قدرا عظيما من البراغماتيّة و يسمح بإقناع المتلقّي بقبول التّصوّرات المعروضة ؛ لكون السّياسة حربًا، فكما للحرب متحاربون و سلاح و استراتيجيّات، و نهاية بمنهزم و منتصر، فللسّياسة كذلك أقطاب صراع و أسلحة لا يمكن الاستغناء عنها، و هي مرهونة بشكل أكبر باللّغة"الاستعارة" ... و في هذا المقام لابدّ من التّذكير بأنّنا نحيا بالاستعارة؛ لكونها جزء من

التّحليل العرفنيّ للخطاب الأدبيّ ذي الأبعاد السّياسيّة
- دراسة عرفيّة في خطابات أحمد مطر–.

نشاطنا الفكريّ العاديّ، و هي التي تبنين تصوّراتنا و تجاربنا و تعطيها معنىً، كما أنّها قد تقتل في حال استعملت كبناء دلاليّ لتبرير الحرب و تسويغ الهجوم على البشر؛ هي كذلك لأنّها تخفي الوجه الحقيقيّ للحرب و تعبث بمصائر الشّعوب.

و حريّ بنا في هذا المقام الوقوف عند الخطاب السّياسيّ المتميّز بمدى قدرته على إحداث التّغيير؛ نظرا إلى مدى قدرته على التّأثير و وضع بصمة في المتلقّي سواء بشكل إيجابيّ أو سلبيّ، تبعا لما يحمله من شحنات دلاليّة و بلاغيّة. أمّا عن ماهيّة الخطاب السّياسيّ، فإنّه يستعصى حصره في مفهوم معيّن؛ إلاّ أن نذهب إلى عرض (تعريف طرازيّ للخطاب السّياسيّ، و التّعريف الطّرازيّ هو التّعريف الذي يمثّل المعبّر الأفضل عن هذه المقولة، مثلا خطاب رئيس الدّولة، أو الخطاب الذي يجمع الخاصيّات الأكثر تواترا في الخطابات السّياسيّة، و يمكن أن يكون تمثيلا ذهنيّا لا يتحقّق بالضّرورة في خطاب بعينه).

فالمسألة على هذا الأساس نسبيّة؛ متعلّقة بكلّ من قارئ الخطاب و زاوية النّظر إليه، و كذا الإطار الثّقافيّ المعرفيّ منه و الإيديولوجي، و بعبارة أخرى: الخطاب متعلّق بمنشئه و هو رجل السّياسة، و موضوعه الذي هو في الشّأن السّياسيّ.

و تبقى قضيّة تحديد تعريف للخطاب السّياسيّ تكتنفها صعوبة في الحسم بغضّ النّظر عن الموضوع و السّياق؛ حيث يذهب ماركو أبونت مارينو **Marco Aponte Moreno** إلى(أنّ كلّ خطاب هو إلى حدّ ما سياسيّ، و أنّ كلّ تحليل خطاب، في مستوى ما، هو سياسيّ).

و هذا الخطاب بطبيعة الحال له لغة سياسيّة خاصّة به تقوم على استراتيجيّات معيّنة؛ لكونها أداة من أدوات القوّة الرّمزيّة المعتمدة في تحقيق المصالح، ناهيك عن كونها وسيلة اتّصال، و من أبرز آليّات هذه اللّغة نجد الاستعارة التي بدأت أساسا مع جورج لايكوف في تسعينيّات القرن العشرين، لتتطوّر لاحقا في إطار ما يُعرف بالنّظريّات العرفانيّة. لسيّما في علم الدّلالة العرفانيّ مع كلّ من لايكوف و جونسون و تيرنر و فوكونيي ... و غيرهم.

و لعلّ ما أسّس لدراسة الخطاب السّياسيّ عرفانيّا هو الكتاب المشترك لمارك جونسون و جورج لايكوف الذي جعل الاستعارات آليّات أساسيّة نحيا بها*؛ حيث تطرّقا إلى الحديث عن الاستعارات التي وظّفها الرّئيس الأمريكيّ الأسبق "كارتر"في أزمة الطّاقة الذي"أعلن عليها الحرب معنويّا".

فالاستعارات المعتمدة في مثل تلك الخطابات تحمل أبعادا و تخفي تصوّرات كاملة عن رؤية صاحب الخطاب السّياسيّة و الأخلاقيّة و الاجتماعيّة.

التّحليل العرفنيّ للخطاب الأدبيّ ذي الأبعاد السّياسيّة- خطاب أحمد مطر- قصيدة أصناف البشر.

إنّ تحليل الأعمال و الخطابات الأدبيّة يقتضي أن يتسلّح المتعامل معها بجملة من الاستراتيجيّات المنهجيّة التي تحيله على الأسرار التي تختزنها هذه الأخيرة، كما يستوجب ذلك اعتماد القراءات التّأويليّة التي تتطلّب قوّة الملاحظة و الدّقة في التّركيز و بعد النّظر، لسيّما إذا تعلّق الأمر بخطاب أدبيّ يحمل بين طيّاته أبعادا سياسيّة، يستوعبها في شكل تعبيرات استعاريّة منبثقة من نسق تصوّريّ امتزجت فيه تصوّرات ذهنيّة و خبرات دروس و تجارب حياتيّة، و قد ارتأينا لتحقيق هذا الغرض الانطلاق من قصيدة "أصناف البشر" للشاعر العراقي:

أحمد مطر، الذي تمتاز أعماله بوجود الطّابع السّاخر؛ لسيّما إذا تعلّق الأمر بالقضايا السّياسيّة و العروبة و الحُكّام...

أصناف البشر.

يا قدس معذرة و مثلي ليس يعتذر
مالي يدٌ في ما جرى فالأمر ما أمرُوا
و أنا ضعيف ليس لي أثر
عار عليّ السّمع و البصر

و أنا بسيف الحرف أنتحر
و أنا اللّهيب و قادتي المطر
فمتى سأستعر؟
لو أنّ أرباب الحمى حجر
لحملت فأسا فوقها القدر
هوجاء لا تبقي و لا تذر؛
لكنّما أصنامنا بشر
الغدر منهم خائف حذر
و المكر يشكو الضّعف إن مكروا؛
فالحرب أغنية يجنّ بلحنها الوتر
و السّلم مختصر
ساق على ساق، و أقداح يعرش فوقها الخدر
و موائد من حولها بقر
و يكون مؤتمر؛
هزّي إليك بجذع مؤتمر يسّلقط حولك الهذر
عاش اللّهيب و يسقط المطرُ.

*نرى أنّ هذا العمل الأدبيّ ذا الأبعاد السّياسيّة يحمل بين طيّاته دلالات عديدة اختبأت خلف أنساق و تعبيرات استعاريّة زادتها غموضا بقدر ما زادتها رونقا بلاغيّا، فتح الباب على مصراعيه ليجعل منها لافتة للانتباه و محلّ اهتمام النّقّاد و الدّارسين؛ حيث حمّلها قضيّة ثقيلة على كواهل العرب، هي قضيّة القدس الجريحة التي أخذت عنوةً.

لقد صوّر القدس في صورة شخص مظلوم تعرّض لاغتصاب حقوقه، قدّم له الاعتذار و باح له بأنّه برئ ممّا جرى له، و أنّ الأمر كلّه حدث بسبب أيادي الظّالمين، و هو ضعيف ليس بيده حيلة، و يتجلّى ذلك في قوله:

يا قدس معذرة و مثلي ليس يعتذر
مالي يد في ما جرى فالأمر ما أمروا
و أنا ضعيف ليس لي أثر

و في هذا تجسيد لاستعارة بنيويّة تمّت فيها بنينة نسق تصوّريّ استنادا إلى نسق تصوّريّ آخر.

و يضيف قائلا: و أنا بسيف الحرف أنتحر، و يقصد أنّ كلماته و كأنّها سيف سوف يودي بحياته.

و أنا اللّهيب و قادتي المطر

*وهو هنا يوحي بقدر الاشتعال الذي بداخله و عدم رضاه عن الوضع، و في المقابل يجسّد الحكّام العرب و القادة بأنّهم المطر البارد الذي يخمد تلك اللّهفة و ذاك الغضب و يكبح عدم الرّضا، ليحلّ محله الخنوع و الذّلّ و الهوان.و يردف قائلا: فمتى سأستعر؟ بمعنى السّعير و نار الغضب التي ستحرق الظالمين،

و يعود من جديد لبنينة نسق آخر من التّصوّرات اعتمادا على تجربة فضائيّة اتجاهيّة يقول فيها: لحملت فأسا فوقها القدر هوجاء لا تبقي و لا تذر، و التّركيب الأخير يلاحظ أنّه مستعار من القرآن الكريم.

كما صوّر الحكّام العرب في صورة أصنام، و جعل من الغدر الذي هو مجال مجرّد، كائنا يخاف و يحذر ، و هو الحال كذلك بالنّسبة للمكر الذي يشكو الضّعف إن مكر أولئك.

*و يضيف سطرا يقول فيه:

فالحرب أغنية يجنّ بلحنها الوتر، و في هذا بنينة تفاعليّة للأنساق؛ حيث جعل من الحرب التي لها أسلحتها و خطّتها و ضحاياها نسقا، كنسق الأغنية التي لها أدواتها إيقاعها و الوتر فيها هو ضحيّة لحنها.

و كذلك قوله: ساق على ساق ككناية عن عدم الإقدام على أيّة ردّة فعل، و أقداح فوقها الخدر ...و موائد من حولها بقر...و يكون مؤتمر...هنا صوّر الحكّام في شكل بقر (بهيمة لا تفقه شيئا)

ليختم قصيدته قائلا: هزّي إليك بجذع مؤتمر يساقط حولك الهذر.و في هذا استعارة تعبير قرآنيّ عن مريم العذراء، يوحي بقدرة الشّاعر على اختلاق الأنساق من تصوّرات و تجارب قبليّة، كما يحيل إلى بيان الثّقافة التي ينتمي إليها.

و يضيف: عاش اللّهيب و يسقط المطر: و في هذا بنينة نسقيّة بين مجالي الإنسان و الظواهر الطّبيعيّة.

النّتائج:

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثيّة إلى جملة من النّتائج نوردها في النّقاط الآتية:

1-الاستعارة مسألة فكريّة مرتبطة بنسقنا التّصوّريّ، كما أنّها متجذّرة في حياتنا حتّى أنّنا لا نكاد ندركها.

2-الاستعارة مركز إدراك المعنى و فهم الإنسان لنفسه و تمثّله الوجود من حوله، و بناء أنساقه الرمزيّة المختلفة، كما أنّها مركز التّفكير و آداته و آلته في الوقت ذاته.

3-محلّل الخطاب ليس في غنى عن الاستعارة كآلية تمكّنه من فهم الخطابات و تفكيك شفراتها، و الكشف عن دلالاتها و معانيها.

4-كلّ خطاب هو إلى حدّ ما سياسيّ، و كلّ تحليل خطاب ، في مستوى ما، هو سياسيّ.

5-استعمال الاستعارة من قبل السّياسيّين غرضه تحقيق وظائف بلاغيّة و إقناعيّة.

6-الخطاب الأدبيّ قد تكون له أبعاد سياسيّة ، تسهم الاستعارة في تحقيقها.

الهوامش:

1.عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الجديد المتّحدة، بيروت-لبنان، ط1، 2004،ص39

2ينظر المرجع نفسه،ص18-19.

3شكري محمد عياد، اللّغة و الإبداع مبادئ في علم الأسلوب العربيّ، ط1 ،1988

4 ينظر لطيفة إبراهيم النجّار، آليّات التّصنيف اللّغويّ بين علم اللّغة المعرفيّ والنّحو العربيّ، مجلّة الملك سعود، الآداب،2004،ص1-3

5 المرجع نفسه،ص4

6 المرجع نفسه،ص4-5

7 المرجع نفسه،ص9

8 الأزهر الزناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي للنشر، ص15.

9 لطيفة إبراهيم النجّار، المرجع السّابق،ص8

10 جورج لايكوف و مارك جونسون،الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد الحميد جحفة ، دار توبقال للنّشر، ص21.

11 المرجع السّابق،ص7

12 عمر بن دحمان ، الاستعارات و الخطاب الأدبي-مقاربة معرفيّة معاصرة-دكتوراه، جامعة مولود معمري،2012،ص23.

13 الأزهر الزناد، المرجع السّابق، ص27.

14 ينظر جورج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة، ترجمة:طارق النّعمان، إبداع للنّشر، العدد13-14 شتاء-ربيع،2010،ص17.

15 ينظر المرجع نفسه ص66.

16 ينظر المرجع نفسه،ص96.

17 جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد الحميد جحفة و عبد الإله سليم، دار توبقال للنّشر، ط1، 2005،ص7.

18 جورج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة ،ص97.

19 جورج لايكوف، حرب الخليج،ص6.

20 ينظر جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها،ص12-34-53.

21ينظر الأزهر الزناد، المرجع السّابق،ص139.

22 المرجع نفسه،ص142.

23ينظر المرجع نفسه،ص171-197-201.

24 إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب ، ترجمة: عماد عبد اللّطيف و خالد توفيق،المركز القومي للتّرجمة،ط1 ،2013،ص104.

25 ينظر جورج لايكوف، حرب الخليج، ص5.

26 محمد الصّالح البوعمراني، الاستعارات التّصوّريّة في الخطاب السّياسيّ، دار كنوز المعرفة للنّشرو التّوزيع،ط1، 2005،ص41.

27 المرجع نفسه، ص45.

28ينظر المرجع نفسه،ص52-54.

*ينظر ،مقالات:الاستعارة و الحرب" النّسق التّصوّريّ المستعمل لتبرير حرب الخليج" و "استعارات الرّعب" و "الاستعارة من جديد".